تجارة القهوة بين أوروبا وآسيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين

عبدالرزاق محمود المعاني*

https://doi.org/10.35516/jjha.v17i1.962

ملخص

تتناول هذه الدراسة حجم التجارة الأوروبية – الآسيوية من سلعة القهوة المصدرة إلى أوروبا، والتطورات التجارية التي طرأت على تلك السلعة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين. وبَيَّنت الدراسة أنّ دخول مثل هذه السلعة الاستراتيجية في مجال التجارة الأوروبية – الآسيوية، والمنافسة بين الشركات التجارية الأوروبية أحدث تغييرًا عميقًا في طبيعة العلاقات الاقتصادية بين القارتين؛ حيث صاحب هذا تبدل مهم في المواقف والمصالح السياسية الأوروبية تجاه القارة الآسيوية. وعليه، فقد حاولت رسم صورة لما كان يجري من عمليات تجارية من أجل تصديره للخارج، مستعينًةًبالمعلومات التي تمكّن من العثور عليها. كما تطرّقت الدراسة إلى العملات والأوزان المتداولة؛ وذلك لأنه مارس النشاط التجاري – خلال الفترة قيد البحث– جنسيات مختلفة: برتغاليون وإنجليز وهولنديون وهنود، كما مارسه في المنطقة أيضًا بعض أهلها وأهالي المناطق المجاورة من عرب وفرس وأتراك وغيرهم، ولا شك في أن هؤلاء كانوا جميعًا يدفعون أثمان السلع والبضائع التي يشترونها، وهو أمر جعل المنطقة تعج بأنواع النقود المختلفة.

الكلمات الدالة: تجارة، أوروبا، آسيا، قهوة، نقود.

1. المقدمة:

حافظت منطقة الخليج العربي على مكانتها، بوصفها أهمّ طريق تجاري للسلع الاستراتيجية والسلع الأكثر طلبًا في العالم، عدا عن أهميتها المتميزة في المواصلات الدولية. وأدَّت موانئ الخليج العربي كذلك دورًا بارزا في النشاط ذاته.

يقول"ميشيل كرينبر Michael Greenberg، وهو أحد المتخصصين البارزين في العلاقات التجارية الأوروبية – الأسيوية: "التجارة هي التي دفعت بالأوروبيين والأسيويين للاتصال ببعضهم في العصر الحديث، والأوروبيون هم الذين بدأوا بذلك الاتصال وليس العكس، وكان هدفهم من ذلك الحصول على سلع الشرق ونفائسه. هذه حقيقة، والحقيقة الأخرى هي أن الأوروبيين ولمدة ثلاثة قرون (1500–1800) كانوا يسعون إلى الحصول على السلع الشرقية دون أن يكون لديهم إلا الشي القليل لتقديمه إلى الأسيويين لقاء تلك السلع والنفائس". (أمين 1987:6-7)

وتؤكد التقارير الإنجليزية الخاصة بالتجارة، كما تؤكد كتب الرحّالة والمصادر الأخرى، أنّ النشاط التجاري العربيّ في الخليج كان واسعًا، وأنّ تجارة العرب في المنطقة كانت مهمة ومزدهرة. ومن أهم التقارير: التقرير الذي وضعه مانستي وهارفورد جونز سنة 1790م، والتقرير الذي أعدّه جون مالكوم سنة 1800م، فهما –بالإضافة إلى كتب الرحالة والمهتمين بشؤون التجارة– يعطيان فكرة جيدة عن دور العرب التجاري وعن طبيعة التجارة وحجمها في مياه المحيط

* قسم التاريخ والجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2022/2/14، تاريخ القبول: 2022/8/10

الهندي بشكل عام، وعن تجارة الخليج العربي والبحر الأحمر بصورة خاصة.

قدّر (جون مالكوم J. Malcolm) حجم تجارة الخليج بـ 6,000,000 روبية، وذلك في التقرير الذي أعده لشركة الهند الشرقية الإنجليزية (Saldanha S.S.P.B.P. 443). وإذا عرفنا أن قيمة التجارة بين الهند والخليج تكوّن الجزء الأكبر من هذا المبلغ أدركنا سعتها حتى في حال تقلّصها مقارنة بفترة سابقة.

وتُعد تجارة البن أو القهوة في الفترة قيد الدراسة واحدة من أشهر أنواع التجارة التي كانت تعبر الخليج قادمة من موانئ اليمن المخا والحديدة، مع العلم أنّ تجارة البن لم تظهر بشكل واضح إلا في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وفي الفترة التي سبقت ذلك كان مشروب القهوة مُختَلَفًا عليه دينيًا لدى المسلمين والمسيحيين على السواء. (عبد الكريم والغلاييني 2013: 52)

وكانت تجارة البن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي تمرّ في مخا في اليمن إلى البصرة؛ حيث يجري توزيعها بواسطة القوافل، وكانت مسقط هي الملتقى التجاري الرئيس على هذه الطريق، ففيها كان يتجمع كل عام أسطول البُنّ الذي يصل عدد مراكبه إلى خمسين، معظمها مراكب عُمانية. (لوريمر 1967: 657)

وهكذا نجد أن البن أو القهوة من المحاصيل الزراعية النقدية المهمة، التي حظيت بشهرة عالمية في مجال التجارة والاستهلاك، وهذا ما جعل قُطرًا عربيًا مثل اليمن يتحوّل إلى قبلة لكثير من السفن العربية والإسلامية والأجنبية، بل أصبحت تجارة القهوة بديلًا عن تجارة التوابل، التي تحوّلت إلى طريق رأس الرجاء الصالح عقب الكشوفات الجغرافية، التي أدت إلى اكتشاف الطريق الجديد والمباشر إلى أوروبا، وهو الطريق الذي أدى اكتشافه إلى حرمان البلدان التي كانت تعتمد في عائداتها المالية على تجارة العبور للتوابل عبر مياهها وأراضيها إلى أوروبا من تلك العائدات.

لقد أحدث دخول القهوة بوصفها سلعة تجارية في مجال التجارة الأوروبية – الآسيوية تغيّرًا عميقًا في طبيعة العلاقات الاقتصادية بين القارتين، وصاحب هذا تبدّل مهم في المواقف والمصالح السياسية الأوروبية تجاه القارة الآسيوية.

وتبوَّأت القهوة مكانة مرموقة بين السلع التجارية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين، ويمكن عدّ دخولها ميدان التجارة في ذلك القرن ثورة تجارية. وقبل الإفاضة في الحديث عن تجارة القهوة يَحسُن بنا تأكيد جملة من الأمور، هي:

أولًا: إنّ اليمن المصدر الوحيد في العالم أجمع لإنتاج هذه السلعة وتصديرها، وبقيت دولة اليمن تتمتع بهذه المنزلة حتى العقد الثالث من القرن الثامن عشر. وتزرع شجرة البن في منطقة معينة في الأقاليم الداخلية من اليمن تُعرف بـ" بيت الفقيه "، وينقل المحصول بالقوافل إلى الساحل؛ حيث يُصدّر عن طريق موانئ اليمن: الحديدة واللحية والمخا، والميناء الأخير أكثر الموانئ اليمانية فعالية في عملية التصدير، وكان يفضّله الأوروبيون بصورة خاصة. (أمين 36:1987).

ثانيًا: إنّ القهوة اليمانية كانت تمثل خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين السلعة الوحيدة في الوطن العربي كلّه القابلة للتصدير إلى الأسواق العالمية بكميات كبيرة، والتي تستدرّ الأموال– الفضة والذهب، بل إنّ الفضة الأمريكية وجدت طريقها إلى الوطن العربي عبر أوروبا بفضل القهوة اليمانية دون أية سلعة أخرى. (أمين 36:1987).

ثالثًا: البُن سلعة تجارية تتفوّق أحيانًا على سلع أخرى كاللؤلؤ والتمر، وعلى الرغم من ذلك لم تحظ هذه السلعة باهتمام المصادر العربية، بينما تحدثت عنها المصادر الأجنبية كثيرًا.

لعل الوثائقَ أهمُّ المصادر التي كان يتحتم علينا الرجوع إليها في إعداد هذه الدراسة، التي أفادت من عدد من الوثائق والمصنّفات العربية والأجنبية التي تناولت منطقة الخليج والجزيرة العربية وتحدثت عن نشاطها التجاري خلال الفترة قيد البحث، ومن أبرزها:

- الوثائق الإنجليزية التي نشرها وليم فوستر William بعنوان: The English Factories in India 1618-1668، وتتألف هذه المجموعة من ثلاثة عشر جزءًا، مع مقدمة لكل جزء، ولهذه الوثائق فائدة كبيرة؛ لأنها لا تسلط الضَّوء على فعاليات الشركة الإنجليزية حسب، وإنما تركز أيضًا على بعض النشاطات العربية التي لا نجد لها ذكرًا في المصادر المحلية العربية.
- مؤلفات الرحّالة الأوروبيين الذي زاروا المنطقة في فترات مختلفة هي مصادر مهمة لا يستغني عنها الباحث، وبخاصة المتعلقة بالقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين؛ ذلك لأنهم عاصروا الأحداث، وكانوا شهود عيان لها خلال فترة الدراسة، ومن أبرز هؤلاء الرحّالة:

أ. كارستين نيبور (C. Niebuhr 1733–1815م): وقد كان "نيبور" أحد أعضاء البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدنمارك عام 1760 م إلى الجزيرة العربية والأقطار المجاورة لها، وهو الأوروبي الوحيد من أفراد تلك البعثة الذي بقي حيًّا، وقد اختار –عند عودته من بومباي إلى أوروبا– طريق الخليج العربي، وبقي في منطقة الخليج من ديسمبر 1764 م حتى يونيو 1765م. ويضم كتابه:

" Travels Through Arabia and Other Countries in the East " معلومات قيّمة عن سواحل الخليج العربي في القرن الثامن عشر الميلادي، التي تعدّ فترة الازدهار والتنافس التجاري الإنجليزي – الهولندي في الخليج، وهي من أهم الرحلات في القرن الثامن عشر الميلادي.

ب. رحلة تافرنييه (Tavernier)، التي ترجمها إلى اللغة العربية يعقوب سركيس، بعنوان: (العراق في القرن السابع عشر الميلادي)، ولها أهمية خاصة؛ لأن ما ترجم منها لا يخص العراق فقط، وإنما يتطرق لبلاد فارس، ولهذه الرحلة فوائد كبرى في ما يتعلق بالسلع التجارية، وعلاقات الدول الأوروبية بالمنطقة _رحلة جان دي لاروك_ الذي وصل إلى اليمن عام 1709م، ودون رحلته التي جاءت بعنوان "رحلة إلى العربية السعيدة".

ج. كتاب الدكتور عبد الأمير محمد أمين (نشاط الأوروبيين التجاري في آسيا)، وقد كان خير معين للدراسة الحاليَّة؛ إذ إنه –رغم تركيزه على نشاط الأوروبيين التجاري في آسيا– تضمن الكثير مما له علاقة بموضوع هذه الدراسة، وبشكل خاص ذلك الجزء الذي يتناول السلع التجارية والتنافس التجاري الأوروبي في الخليج. وهناك دراسات أخرى أفاد منها الباحث لا تقل أهمية عن الكتاب السابق، منها كتاب: شودري" Chaudhuri " المعنون بـ:" The Trading World Of Asia" وكتاب: (تجارة البن اليمني) للباحثة أروى الخطابي، وبحث بعنوان: " تجارة البن اليمني: دراسة في العلاقة بين الشؤون التجارية والسياسية في اليمن 854هـ/ 1450م– 1337هـ/ 1918م، للباحث هاني زامل مهنا، وقد حاول الباحثان تقديم صورة واضحة عن التجارة الداخلية والخارجية للقهوة على الرغم من ندرة المعلومات التي تناولت هذا الجانب، كما تناول الأخير مراحل تجارة البن اليمني تبعًا لازدهار هذه التجارة واضمحلالها، وغيرها من المصنفات كبيرة الفائدة التي جرت الإشارة إليها في توثيق المعلومات وقائمة المصادر والمراجع؛ حيث أمدت الباحث بمادة غزيرة، كما أسهمت في توجيه خطواته.

2. تمهيد:

اختلف المؤرخون حول تحديد الموطن الأصلي لشجرة البن، كما اختلفوا حول تحديد بداية ظهوره في اليمن؛ فقد ذهب معظمهم إلى أن الحبشة موطنه الأصلي، وأنه قد نقل منها إلى اليمن في بداية العصر الحديث، ولكن دون أن

يتمكنوا من إثبات ذلك فعليًا.

وتوجد العديد من الأسئلة والاستفسارات التي لم يتمكن الباحثون من تفسيرها حول الموطن الأصلي لشجرة البن، على سبيل المثال: لماذا لم يتعرّف الأوروبيون على البن عن طريق الحبشة إن كان استخدام الأحباش له أقدم من اليمنيين؟

ويرى بعض الباحثين أن أصل كلمة قهوة عربية صحفها الأتراك إلى كلمة (كفي) أو (كهفية) التركية، وعنها نقل الأوروبيون كلمة (coffee) التي اشتقت منها بقية اللغات الأوروبية. (الخطابي 2004: 12)

يقول جان دي لاروك، الذي وصل إلى اليمن عام 1709م في كتابه "رحلة إلى العربية السعيدة " "هكذا من خلال تغيير حرف ولفظه بصورة مختلفة عن الشرقيين صغنا العبارة من اللفظ التركي cahveh التي تأتي من قهوة العربي الأصل". (دي لاروك 182:1999)

وذكر دي لاروك أيضًا أن بعض الرحّالة الأوربيين الذين زاروا الحبشة وكتبوا بعض الملاحظات والتقارير عن الحبشة خلت كتاباتهم من ذكر القهوة، من أمثال الرحّال البرتغالي الأب تيلر اليسوعي، والرحّال لودولفوس، الذي ألّف كتاب عن تاريخ الحبشة. (دي لاروك 1999: 169)

كما لم يتمكن الباحثون من إثبات أن كلمة (كافا)، وهي كلمة تمثل اسم إحدى المناطق الحبشية، هي مصدر كلمة "coffee"بالإنجليزية؛ لأن "الكلمة العادية المستعملة هناك هي كلمة البُن سواء للشجرة أو للثمرة أو مشروب القهو ". (الخطابي 2004: 13) ويأتي الرحّال شارل جيمس نوسنية، الذي زار الحبشة خلال الفترة (1698–1700) ليقول:" لا تزال أشجار البُن تشاهد في ذلك البلد، ويزرعونها لإرضاء الفضول فقط"، وقد أورد وصفا للشجرة التي قال: إنها شجرة البن، ولكنّ تلك الأوصاف لا تنطبق علىهذه الشجرة؛ مما جعل دي لاورك يشك بأنّ تكون تلك الشجرة هي شجرة البُن. (دي لاروك 169:1999).

واحتلت القهوة مكانة مرموقة بين السلع التجارية في القرن السابع عشر الميلادي، ويمكن عدّ دخولها ميدان التجارة في ذلك القرن ثورة تجارية (أمين 36:1987)، ومع أن الموطن الأصلي للقهوة أو البُن هو الحبشة –كما سبقت الإشارة؛ حيث تنمو شجيراته هناك من تلقاء نفسها، إلا أنّ تلك البلاد لم تعرف في البداية أي تبادل تجاري لهذه السلعة، وإنما عرفت هذا التبادل منطقة جنوبي الجزيرة العربية. (زكي 1970: 45). ويُقال: إنّ فقيهًا من بلاد اليمن عمّم شرب القهوة بين طلابه عندما لاحظ أنها تطرد النعاس، ثم لم تلبث أن انتشرت بين سكان عدن، ومن هناك انتقلت إلى مكة ثم إلى المدينة، وبعدها انتشرت في المدن العربية الأخرى، وأصبحت من السلع التجارية. (بيرين 1963: 106)

وظلّت اليمن لوقت طويل المصدر الوحيد لتلك السلعة في العالم أجمع، وكانت تُزرع شجيرة البُن في منطقة معينة في الأقاليم الداخلية من اليمن، تعرف بـ (بيت الفقيه)، كما تكثر زراعتها أيضًا في بلاد حاشد وبكيل وقعطبة ويافع، وكان تُزرع أيضًا في مناطق العدين وكسمى والجبى، ومن هذه المناطق كان يأتي معظم البُن وأجوده، وكان "بُن العدين" أفضل أنواعه. (Niebuhr 1792 :143-154, 245)

ويُقام سوق البُن في بيت الفقيه على بقعة تشمل فناءين كبيرين، تقوم على جوانبهما أروقة مسقوفة، وكان العرب يأتون من الريف إلى هذا السوق حاملين البن في خروج كبيرة من الحصير، ويجري شراؤه عن طريق السماسرة، وكان يُوجد في صدر السوق أريكة مرتفعة يجلس عليها ضباط الجمرك، وقد يجلس الحاكم نفسه في بعض الأحيان، ويسجلُ هؤلاء الضباط وزن البُن الذي، كما يسجلون ثمنه حتى تُستوفى حُصَّةُ الحاكم منه. مانعكو

وكان البن ينقل من ذلك السوق بواسطة القوافل إلى الساحل، حيث يُصدّر عن طريق ميناءَي اليمن: المخا والحديدة (المهيري1991 :67)، وكانت السفن العربية تنقل البن من تلك الموانيء إلى الخليج العربي ومنه إلى العراق وتركيا وأوروبا، كما يُنقل إلى البحر الأحمر وموانيء الهند وإلى الشرق من ذلك (Marine Records 1792 Vol. 891)

ذكر نيبور بأن ميناء الحديدة كان أكثر الموانئ اليمانية فعالية في تصدير القهوة، وكان يفضّله الأوروبيون بصورة خاصة (Niebuhr 1792: 245). كما لاحظ نيبور عام 1763م أن القهوة لم تكن ضمن السلع المعروضة في سوق صنعاء، وقد علّق على ذلك بقوله: " ولعلّه – أي البُن – لم يكن من السلع الهامة (Niebuhr 1792: 245).

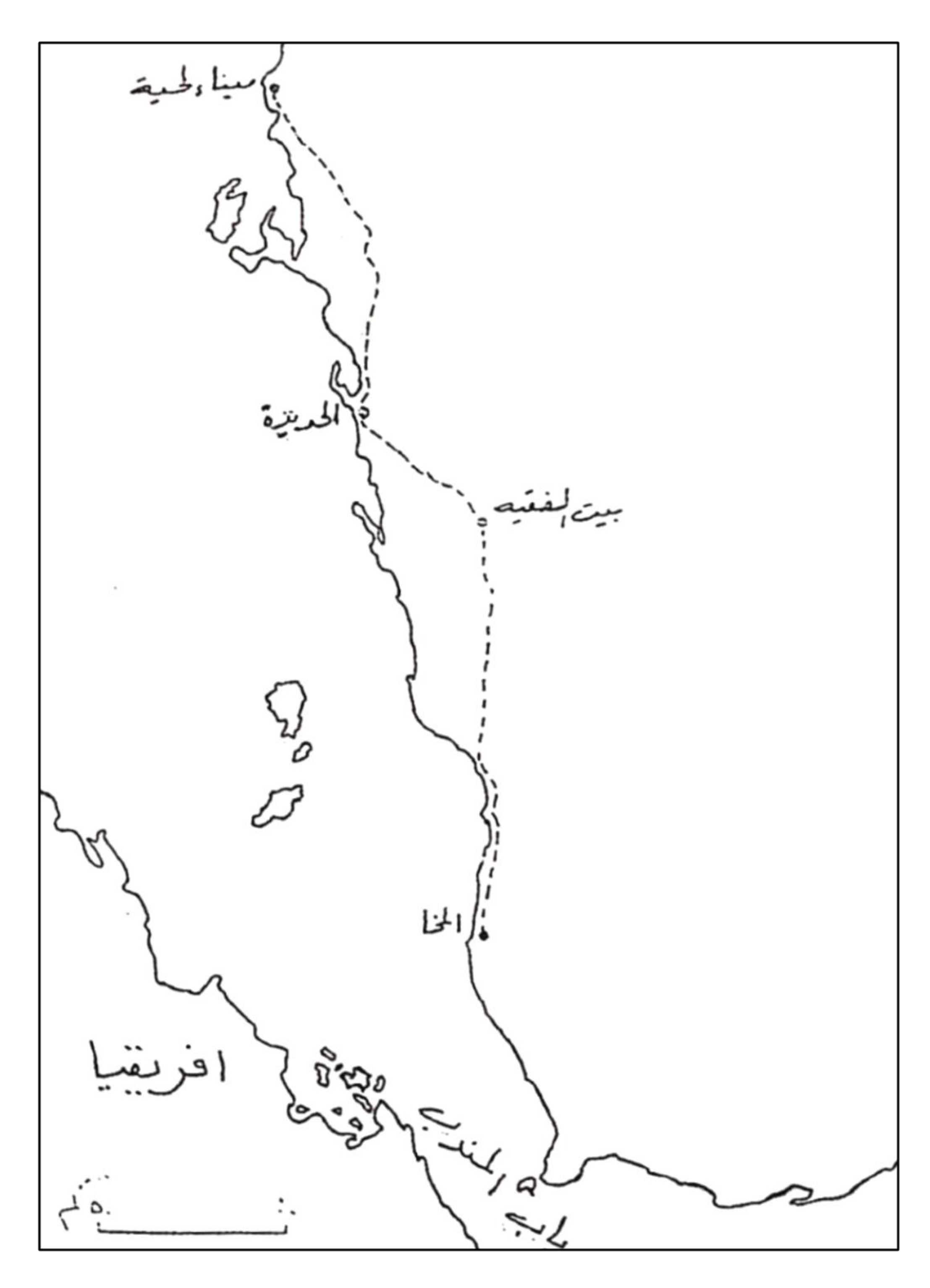
وكانت تجارة البُن – في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي – تمر في ميناء "المخا" في اليمن إلى البصرة، حيث يتم توزيعها بواسطة القوافل – كما تقدم الذكر–. وكانت "مسقط" هي الملتقى التجاري الرئيسي على هذا الطريق؛ ففيها يجتمع كل عام أسطول البن الذي يصل عدد مراكبه إلى خمسين مركبًا، معظمها مراكب عُمانية (لوريمر 1967: 657).

وكان ما يحمله هذا الأسطول من البُن يكفي لتلبية الطلب عليه في بلاد فارس وبلاد العرب وبلاد ما بين النهرين وكردستان وأرمينيا والأناضول، ولسدّ جزء مما تحتاجه سوريا والقسم الأوروبي من الدولة العثمانية وألمانيا وبولندا وروسيا وشمالي أوروبا. (Marine Records 1792; Saldanha 1986)

ويُقدَّر الوارد السنوي من تجارة البُن بنحو عشرين لكًا– (الك= 100 ألف روبية)؛ أي أنّ الوارد السنوي من تجارة البن = 2,000,000 روبية، أي 200,000 جنيه إسترليني، وهو مبلغ يعدّ كبيرًا جدًا وفقًا لمقاييس ذلك العصر، وهو مبلغ يكفي لجعل العُمانيين أغنياء جدًا، ولذلك كانت لمسقط مصلحة حقيقية في حماية هذه التجارة ودعمها؛ فحين تعرضت البصرة عام 1775م للغزو الفارسي شارك أسطول عُمان في الدفاع عنها، وفي مقابل ذلك أصدرت السلطات العثمانية في العراق فرمانًا يقضي بدفع معونة مالية سنوية إلى إمام عُمان، ومنح التجار العمانيين حرية التجارة في العراق، وإلغاء الرسوم التي كانت تُفرض على البن العماني (Saldanha 1986).

ونظرًا لأهمية هذه السلعة فقد حظر اليمنيون نقل شجرتها إلى خارج اليمن، وكانوا يوقعون عقوبات صارمة على من يحاول ذلك، غير أنّ الأوروبيين من هولنديين وفرنسيين وإنجليز تمكنوا خلال العقود الأخيرة من القرن السابع عشر الميلادي من تهريبها وزراعتها في مستعمراتهم، ومع ذلك ظلت القهوة اليمنية هي الأفضل، ذلك أن المناخ وارتفاع الحقول الجبلية وفّرا للبن اليمني شروطًا ممتازة لم تتوافر لزراعته في المناطق الأخرى (Niebuhr 1792: 143-145).

وكانت للقهوة خلال القرن السابع عشر الميلادي أهمية خاصة بوصفها سلعة تجارية، ليس لليمن وحدها، وإنما للوطن العربي كله؛ فقد كانت السلعة العربية الوحيدة القابلة للتصدير إلى الأسواق العالمية بكميات كبيرة، وتدر أموالًا طائلة. بل إن الفضة الأمريكية وجدت طريقها إلى الوطن العربي – عبر أوروبا – بفضل القهوة اليمانية دون أي سلعة أخرى (أمين 1987:36).



خارطة: مناطق انتاج القهوة في اليمن (Chaudhuri 1978)(تعريب الباحث)

3. الأوروبيون والقهوة:

دخلت القهوة أوروبا في بداية الأمر عن طريق الشرق الأدنى، وقام التجار الأوروبيون هناك بالتجارة بها، وحمّلوها إلى الأقطار الأوروبية المختلفة. ومن الجدير بالذكر أن القهوة أصبحت شرابًا شائعًا في أوروبا منذ 1600م تقريبًا، وسرعان ما أصبحت شرابًا شعبيًا تقدم في مقاهي لندن وخاصة Coffee Houses التي أخذت تقدم القهوة لمرتاديها، حيث يجتمع أهل الأدب والسياسة ورجال الأعمال. ولم يكد القرن السابع عشر الميلادي ينتهي حتى انتقلت من أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث انتشرت هناك وخاصة في مقاهي نيويورك وفيلادلفيا. وبالتالي فقد أصبحت القهوة سلعة لا ينتهي الطلب عليها عند حد معيّن. (بانيكار 1962: 115. زكي 46:1970. مهنّا 2001: 63).

وقد أورد بيتر فان دن بروكه القهوة ضمن السلع التي كانت تُباع في "المخا"، والتي كانت تنقل إلى مصر على السفينة التابعة للسلطان العثماني، وقد أطلق عليها (كاهاوا) أي القهوة، وهو الاسم الذي عرف به البُن عند الأوروبيين عمومًا (براور وكبلانيان 86:1989).

وفي اليمن تعرّف التجار الإنجليز والهولنديون على القهوة منذ وصولهم إليها في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وقد تعرّف التاجر الإنجليزي جون جورداين، الذي وصل إلى اليمن عام 1609 م بصحبة الكسندر شاربي ضمن أول رحلة إنجليزية إلى اليمن، على القهوة أثناء رحلته من عدن إلى صنعاء لمقابلة الوالي العثماني فيها، فقد شاهد أشجار البن لأول مرة، وعلم أن حبوب هذا البن بضاعة تجارية عظيمة؛ لأنها تشحن إلى مدينة القاهرة وإلى جميع أنحاء تركيا وبلاد الهند، وذكر أنّ "الهنود كانوا يحصلون على بُنّهم من البلاد العربية الجنوبية"، كما أشار خلال رحلته تلك إلى وجود المقاهي في اليمن".(الخطابي2004 :190).

ويُعدّ التاجر بيتر فان دن بروكه الهولندي أول من تعرّف على شراب القهوة في اليمن، وذلك أثناء رحلته من المخا إلى صنعاء لمقابلة الوالي العثماني بغرض الحصول على فرمان يسمح للهولنديين بإنشأ محطّة تجاريّة في المخا عام 1616م، فقد ذكر أنه في صباح اليوم الرابع من شهر مايو في ذات السنة سالفة الذكر مرّ ببيت تباع فيه القهوة، وكان هذا البيت يبعد حوالي نصف ميل عن صنعاء، وهناك ارتدى فان دن بروكه ملابسه الأكثر رسمية، التي قابل بها الوالي العثماني.(الخطابي 2004 : 190).

4 .مشتريات الأوربيين من القهوة:

أ – الإنجليز:

بدأ اهتمام الإنجليز بالقهوة لكونها سلعة تجارية منذ وصولهم إلى اليمن؛ فقد توقع جورداين منذ 1609 م الفوائد من تجارة البُن الذي يزرع في المناطق اليمنية القريبة من ساحل البحر الأحمر. وفي عام1627 م أبلغ وليم بيرت (وكيل شركة الهند الشرقية الإنجليزية (1) في الهند " The English East India Company ") مجلس إدارة الشركة في لندن أن

(1) حصلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية على امتيازها من الملكة إليزابيث الأولى عام 1600، وكان هدفها خدمة شرف وعزة بريطانيا ورفاه شعبها، ونمو ملاحتها، وتشجيع التجارة المشروعة، وتوفير الفائدة لعموم المملكة المتحدة. وهذا الهدف الكبير الذي حددته وثيقة الامتياز أتاح للشركة بمرور الوقت تأسيس الإمبراطورية في الهند، إذ تضمن امتيازها الحق في احتكار التجارة الإنجليزية في البلدان الواقعة إلى الشرق من رأس الرجاء الصالح. ينظر: أمين، عبد الأمير محمد (1987)؛ دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوروبي في آسيا 1600–1800، عمان، ص85.

حبوب البن وقشوره التي تستعمل في صنع نوع من المشروب لا توجد إلا في المخا، وذكر أن المشروب نفسه كان يستعمل في تركيا وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية وفارس والهند

وجاء إدراج القهوة ضمن السلع التجارية التي تتاجر بها الشركات الأوروبية، والتي كانت موجودة في أسيا متأخرًا نسبيًا على معرفتهم بأهميتها الاقتصادية؛ ففي عام 1660م أدرجت القهوة بوصفها سلعة تجارية لأول مرة في قائمة مبيعات الشركة الإنجليزية، بالرغم من أن التجار الإنجليز كانوا يعرفون أهميتها قبل هذا التاريخ. (الخطابي2004 : 191,29).

ومن أجل تشجيع الشركة على جعل القهوة ضمن السلع التجارية التي تقوم سفن الشركة بنقلها بين الموانئ الآسيوية كتب بيرت في 27 فبراير 1630 م إلى الشركة يقول: " إذا أرسلت السفن إلى المخا بشحنة مناسبة فسيكون في ذلك فائدة أي فائدة. لا سيّما إذا ما استثمر العائد من ذلك في شراء البن الذي سيجد سوقًا في سورات وبلاد فارس، ويكون لكم في ذلك فائدة كبيرة". (الخطابي2004 : 192).

ولم يبدأ عمل الشركات الأوروبية الموجودة في الشرق في تجارة البُن إلا منذ النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، حيث كانوا ينقلونه من اليمن إلى مستعمراتهم في جنوب شرق آسيا، ويبيعونه هناك، ومن ثم يحصلون على المال اللازم من أجل شراء السلع الآسيوية، خاصة التوابل، والتي كانت هي الهدف الأساسي من وصولهم إلى تلك المناطق. (الخطابي2004 : 29).

وأخذ الطلب على القهوة يتزايد باستمرار منذ الستينات من القرن السابع عشر الميلادي، ولتلبية هذا الطلب زادت شركة الهند الشرقية الإنجليزية الكميات المستوردة منها، فمن (20.390) كغم استوردتها في عام 1664م ارتفعت الكمية إلى 54.984 كغم عام 1672م، ثم وصلت الكمية إلى أكثر من 130 ألف كغم في عام 1684م. ووصفت القهوة في هذه السنوات بأنها أكثر سلع الشركة ربحًا. وتوقعت الشركة أن التجارة فيها سوف تضمن أرباحًا كبيرة إذا ما أُديرت إدارة حسنة. (أمين 38:1987).

وخلال العقود الأولى من القرن الثامن عشر الميلادي ازدادت كميات القهوة المستوردة من المخا إلى أوروبا بواسطة شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وبلغت حوالي 254.240 كيلو غرام في عام 1711م. كما ارتفعت إلى 1.221.826 خلال عام 1724م. (Chaudhuri 1976: 361). بينما لم تتجاوز نسبة القهوة الذي اشترتها الشركة الإنجليزية من اليمن خلال القرن السابع عشر الميلادي عن 2 ٪ من الحجم الكلي لتجارة الشركة إلا نادرًا، وفي بعض السنوات وبشكل استثنائي كما حدث خلال السنوات 1688 م و1690 م، حيث وصلت النسبة إلى6 ٪ و8 ٪ على الترتيب.

وفي العقدين الثاني والثالث من القرن الثامن عشر وصلت هذه النسبة إلى أعلى من 10٪. وفي عام 1724 م لم تقل النسبة عن 21 ٪. (Chaudhuri 1976: 361).

وقد بلغت تجارة القهوة أقصى ازدهارها في منتصف العقد الثالث من القرن الثامن عشر الميلادي؛ فقد استقبل ميناء المخا في هذا الوقت ما يقرب من ثلاثين سفينة كبيرة سنويًا وعدد كبير من السفن الصغيرة، لأخذ القهوة إلى مختلف الأنحاء، ونصف تلك السفن الكبيرة لم تكن أوروبية، بل كانت سفنًا هندية وعربية وإيرانية وغيرها .(Furber 1976: 254). وفي عام (1723م) أوصلت أوروبا 16000 بالة من القهوة عبر رأس الرجاء الصالح، كان نصيب الشركة الإنجليزية منها 7.500 بالة والشركة الهولندية 3.500 بالة وأخذت الشركة الفرنسية 5.200 بالة (Glamann 1958: 183-211).

وذكرت المصادر الإنجليزية معلومات مهمة حول إجمالي كميات القهوة المصدرة من اليمن ونصيب المجموعات التجارية المختلفة من إجمالي الكمية المقدرة بـ (10.297) بالة وذلك في عام1726 م، وحتى ذلك الحين كان التجار

الأتراك والعرب يحصلون على الحصة الأكبر من القهوة اليمنية، يليهم الإنجليز في الترتيب من حيث الكمية المستوردة من القهوة، ثم الهولنديون فالفرنسيون وأخيرا الإيرانيون.

جدول رقم (1) إجمالي كمية القهوة المقدر بـ(بالبالة) في عام 1726م (Chaudhuri 1978:454).

جنسية التجار	الكمية التي تم شراؤها بالبالة	النسبة	الترتيب/ المركز
العرب والأتراك	1.330	54٪	المركز الأول
الإنجليز / الشركة والأفراد	5.050	26٪	المركز الثاني
الهولنديون	2000	10٪	المركز الثالث
الفرنسيون	1300	7٪	المركز الرابع
الإيرانيون	617	3٪	المركز الخامس
المجموع	10.297	100٪	————

ومن الملاحظ أن حدة التنافس بين الشركات التجارية والقوى المختلفة التي تعمل في تجارة القهوة أدت إلى ارتفاع أسعارها بشكل كبير؛ فقد أظهرت سجلات شركة الهند الشرقية الإنجليزية أمثلة كثيرة على التغير في أسعار القهوة خلال العشرينات من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث ورد في أحد تلك السجلات العائدة لعام 1722م نموذجًا لارتفاع الأسعار خلال تلك الفترة. (Khan 2001: 321).

جدول رقم (2) التغير في الأسعار خلال عام 1722 م (Khan 2001: 321).

كمية البن المشتراة		معدل السعـــر بالدولار الأسباني	كمية البن المشتراة		معدل السعر بالدولار الأسباني
بهار	فراسله		بهار	فراسله	
23	1.5	160	5	13	172.20
6	8	156	–	6	168
29	3.5	161	–	13.6	172
34	7.5	156	2	36.9	172
3	29.5	168	–	–	–

كما ورد ضمن سجلات شركة الهند الشرقية الإنجليزية نموذجًا آخر يُظهر الارتفاع المستمر في أسعار القهوة التي تشتريها من اليمن، كما يُبين ارتفاع تكاليف الشحن والنقل، ومع ذلك فقد كانت الأرباح التي تحصل عليها الشركة الإنجليزية مرتفعة جدًا. والجدول التالي يوضح تكاليف شراء ونقل وأرباح شحنة اشترتها الشركة الإنجليزية من اليمن في عام 1736 م.

جدول رقم (3) تكاليف وأرباح شراء شحنة من القهوة في عام 1736 م (Chaudhuri 1976: 363)

الضرائب المستحقة	**جنيه إسترليني11.506**
رسوم الشحن	11.085 جنيه إسترليني
5٪ واجبات	إسترليني جنيه4.047
أجرة التخزين	إسترليني جنيه2.023
5 % سمسرة على بضائع مخزنة بـ 47024 جنيه إسترليني	إسترليني جنيه 2.351
الإجمالي	إسترليني جنيه31.014
صافي المحصول) الإنتاج)	جنيه إسترليني44.673
الوزن النهائي	جنيه إسترليني75.687
تكلفة البن	37.809 جنيه إسترليني
كل 3602 باله من البن تباع بـ	جنيه إسترليني80.949
بعد خصم	جنيه إسترليني5.261
الإجمالي	75.687 جنيه إسترليني

كما تظهر سجلات شركة الهند الشرقية الإنجليزية أيضًا الأهمية الكبيرة التي كانت تمثلها هذه السلعة، مما جعلها تهتم بتسجيل أدق التفاصيل المتعلقة بتجارتها، بحيث كانت ترصد الوكالة يوميًا كميات القهوة التي تصل إلى مقرها في المخا وأسعارها وتقلباتها المستمرة، ورصدت الأسباب المؤدية إلى تغير تلك الأسعار، كما كانت هذه السجلات اليومية تهتم اهتمامًا بالغًا برصد الملاحظات المتعلقة بالتنافس بين هذه الشركة والشركات الأوروبية الأخرى. (الخطابي2004: 208).

ونظرًا لزيادة قيمة تجارة هذه السلعة، فقد افتتحت شركات الهند الشرقية الأوروبية مقرات تجارية دائمة لها في المخا (الميناء اليماني الرئيس لتصدير هذه السلعة)، الذي كان مفضلًا لدى تلك الشركات من أجل تصدير القهوة. (Khan 2001: 321). وقد تمكنت شركة الهند الشرقية الإنجليزية من فتح مقر لها في المخا في عام 1618م، وكان يدار بإشراف مدراء إنجليز تبعثهم الشركة إليه يعاونهم في إدارته عدد من المساعدين، عادة ما يكونوا من الإنجليز أيضا، وأحيانًا من الهنود البانيان [1]. (الخطابي2004: 210، أمين1987: 39) .

وقد كان مقر شركة الهند الشرقية الإنجليزية يتعرض أحيانًا للإغلاق لفترات محدودة، وذلك لأسباب مختلفة، من تلك الأسباب، على سبيل المثال، أنه عندما أدركت الشركة بأن السفن الإسلامية والمحلية تقوم بنقل القهوة إلى ميناء بندر

(2) البانيان: اختلف العديد من المؤرخين حول تحديد المعنى الدقيق لكلمة البانيان، كما اختلفوا حول المناطق التي قدموا منها إلى اليمن، وإلى كافة الموانئ في البلاد العربية. وقد أورد البعض بأنهم (البانيان) بمعناها المحدود "تاجر هندي من كجرات، والمعنى العام: الهندي " على نقيض المسلم. وأورد البعض الآخر تعريفا للكلمة بأنهم التجار الهنود الذين انتشروا في جميع المناطق اليمنية، وعملوا في معظم الأنشطة الاقتصادية والتجارية اليمنية (الخطابي2004: 109). والمصطلح يستخدم بكثرة في تجارة المحيط الهندي للإشارة إليهم بوصفهم تجارًا هنودًا متميزين بشدة عن الآخرين، كما أنهم عملوا وكلاء وعملاء للشركات الإنجليزية والهندية في بومباى خلال القرن التاسع عشر، وتجارتهم كانت في المنسوجات وأعمال الصرافة وتقديم القروض، وتمكنوا من احتكار تجارة البن ومعظم محصول اللؤلؤ في البحرين. (القاسمي1996: 118–124).

عباس، والذي يوجد فيه مقرها الرئيسي، بطريقة أرخص وأكثر جودة، أقفلت مقرها في المخا بعد منتصف القرن السابع عشر. (ماكرو1987:30)

ولعل من أهم الأسباب التي جعلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية تحتفظ بمقر دائم لها في المخا هو وجود فرصة لمستخدميها من أجل الحصول على سلعة القهوة بأسعار أرخص من تلك الأسعار التي تعرض في موسم التجارة، إذ يمكنهم الحصول على قهوة رخيصة الثمن خلال مدة تصل إلى سبعة أشهر؛ لأن السفن التي تأتي إلى البحر الأحمر من أجل تزويد الأسواق التركية بالقهوة وكذلك السفن التي تأتي من الهند لا تصل إلى اليمن قبل شهر إبريل ومايو؛ أي خلال موسم التجارة، وتغادر ثانية في أغسطس وسبتمبر (Chaudhuri 1976: 382)

وقد كانت الشركة تضطر أحيانا لسحب موظفيها الإنجليز، وتترك مقراتها في كل من المخا وبيت الفقيه تحت إشراف التجار الهنود، ولكنها كانت ترسل أحيانًا مندوبين عنها للاهتمام بتجارة القهوة، كما حدث عام 1733 م، عندما أرسلت الشركة فرانسيس ديكنسن كوميساري "Frances Dikinson Commissary" ومساعده جون هانيس "John Hanys"إلى المخا ليهتموا بشراء البن، وقد طلبت" الشركة من ديكنسن شراء أكبر كمية ممكنة من قهوة اليمن.(الخطابي2004: 211).

ونتيجة لحرص ديكنسن على تتبع عمليات شراء البن من سوق بيت الفقيه، والتي كان يشرف عليها مساعده هانيس هناك، عمد ديكنسن إلى تسجيل تلك العمليات بدقة متناهية، في دفتر يومي، حيث كان يسجل عدد بالات القهوة التي كانت تصل إلى مقر الشركة في المخا يومًا بيوم، منذ بدء عمليات الشراء حتى اليوم الذي غادرت فيه السفينة (البرنس وليم) ميناء المخا، وليس هذا فحسب، بل كان يسجل أيضًا بعض ملاحظاته حول التغير المستمر في الأسعار، والتنافس بين الشركات الأوروبية المختلفة على شراء البن.(الخطابي 2004: 211)

ويعد دفتر ديكنسن والذي سجل فيه تلك التفاصيل، من أهم الوثائق التي حفظها أرشيف شركة الهند الشرقية الإنجليزية، حول تجارة القهوة في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. كما أظهر الأهمية البالغة لدور التجار البانيان في عمليات شراء القهوة لصالح الشركة الإنجليزية، حيث قام أولئك البانيان أثناء شراء السيد هانيس للقهوة من بيت الفقيه بمساعدته في نقلها وتخزينها ووزنها وما إلى ذلك من الإجراءات اللازمة لعملية الشراء. (الخطابي2004: 211).

ولم يقتصر الإنجليز على مصدر واحد في تزويدهم بالقهوة، فكانوا يتعاملون مع كافة التجار العاملين في تجارة القهوة في اليمن، سواءً كان أولئك التجار من البانيان أو من اليمنيين، بل والأكثر من ذلك أنهم كانوا أحيانًا يشترون البن من الحكام، أي من حكام المناطق الذين كانوا يعملون في تجارة القهوة؛ ففي موسم عام1735 م اشترى الإنجليز القهوة من الأمير الماس حاكم المخا. وقد أورد شودري"Chaudhuri " في كتابه:" The Trading World Of Asia " قائمة بأسماء التجار الذين باعوا القهوة للشركة الإنجليزية خلال موسم عام 1735م. كما ذكر " أن تجارة القهوة أخذت في الكساد خلال السنوات الأخيرة من العقد الثالث من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث عمدت الشركة إلى إغلاق مقرها في المخا عام (1726م) وقال في هذا الشأن: لو أن مستخدمي الشركة تصرفوا بحكمة وإخلاص ولم يستخدموا أموال الشركة في خدمة تجارتهم الخاصة لكان الأمر غير ذلك(Chaudhuri 1976: 380). وقد يكون سوء تصرف مستخدمي الشركة وعدم إخلاصهم عاملًا مهمًا في كساد تجارة القهوة اليمانية بالنسبة للشركة الإنجليزية.

وهناك عوامل أكثر أهمية مما ذكر، منها: اضطراب الأحوال السياسية في اليمن في هذا الوقت، الأمر الذي أثر في الإنتاج وفي سير القوافل الذاهبة إلى المخا، ثم تعسّف السلطات المحلية وجشعها، ويضاف إلى ذلك التنافس الشديد على ابتياع هذه

السلعة، الأمر الذي كان يزيد في سعرها بشكل مستمر ولعل الأهم مما سبق هو نجاح الهولنديين والفرنسيين وغيرهم من الأوروبين في زراعة شجرة البن في مستوطناتهم في جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية وجاوا. (أمين1987: 40).

ومما لا شكّ فيه أنّ كساد تجارة القهوة بالشركة أدّى إلى طرح فكرة الاحتفاظ بمقر دائم لها في المخا، واستعاضت عنه بترتيب خاص يتم بموجبه إرسال أحد مستخدمي الشركة من ذوي الخبرة بتجارة البحر الأحمر من بومباي إلى المخا في موسم هذه التجارة (من آذار إلى تشرين الأول) لتولي شؤون الشراء والشحن، ويتولى وكيل هندي الإشراف على مصالح الشركة خلال الفترة الأخرى من العام (تشرين الأول إلى آذار). (أمين1987: 40).

وذكر "كارستين نيبور Carsten Niebuhr عندما زار هذه المنطقة في الستينيات من القرن الثامن عشر الميلادي أنه شاهد هذا الترتيب نفسه تقريبًا في المخا. وقال: إنه منذ الثلاثينيات من القرن المذكور اعتادت شركة الهند الشرقية الإنجليزية استئجار دور خاصة سنويًا في كل من المخا وبيت الفقيه وذلك في وقت وصول السفن الإنجليزية من أوروبا أو من بومباي لاتخاذها للإشراف على المشتريات من القهوة اليمانية، كما ذكر أن الشركة الإنجليزية اعتادت إرسال سفينة واحدة إلى المخا كل سنتين (Niebuhr :434) 1792.

ب - **الهولنديون:**

لم يغفل الهولنديون عن الأهمية التجارية لسلعة القهوة، فقد نبه بيتر فان دن بروكه الهولنديين إلى ذلك في عام 1616 م، كما قدّم التاجر الهولندي يوهن كرستزون إلى مدير الشركة في سورات فيلبو لوكس وصفًا لمدينة المخا في 22 نوفمبر 1633م، وذكر فيه أنّ المخا كانت " تشكل التجارة الرئيسية فيها– أي التصدير– من القهوة (ماكرو، 1987). وقبل هذا الوصف لتجارة القهوة في ميناء المخا ورد في إحدى قوائم الأسعار التي وضعها تاجر هولندي عام 1623 م سعر القهوة والقشر على رأس تلك القائمة، التي تتكون من أسماء وأسعار العديد من السلع التي كان يتم التعامل التجاري بها هناك؛ فقد ذكر أن البُن يبلغ ثمنه من 25 إلى 30 ريالا للبهار الواحد، أما غير المدقوق ومع الكتشر – أي القشر – فيبلغ ثمنه من 15 إلى 20 ريالا للبهار الواحد. إنّ كل تلك الدلالات جعلت الهولنديين يدخلون البن ضمن السلع التي تقوم الشركة بنقلها إلى موانئ الهند وفارس " فقبل أن يعرف الأوربيون طعم القهوة كان الهولنديون يقومون بشرائها ثم بيعها في الدول الآسيوية. (سلوت 1993: 31).

لقد بدأ التنافس بين وشركة الهند الشرقية الهولندية[2]، وشركة الهند الشرقية الإنجليزية حول سلعة القهوة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، واشتد هذا التنافس خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، الذي شهد نموًا هائلًا في تجارة الشاي والقهوة. خاصة بعد أن أسهمت الشركتان الهولندية والإنجليزية في تغيير بعض العادات الاجتماعية في أوروبا، والتي شجعت الأوروبيين على استهلاك البن في صناعة مشروب جديد وهو القهوة.

(2) هي في الأصل تجمع لعدة شركات غير مترابطة، كانت تدعى بالهولندية: (Kamers)، وقد اتحدت في شركة واحدة كانت تسمى رسميًا: شركة الهند الشرقية المتحدة (V.O.C). وجاءت إلى الشرق لتحقيق أهداف طموحة تتجاوز التجارة العادية المسالمة، وقد شجعها على ذلك تفوق هولندا في أوروبا في مجال التجارة والملاحة والمال. كما قامت هذه الشركة بعد حصولها على الامتياز، وازدياد عدد أساطيلها في الشرق بتنظيم نفسها تنظيمًا محكمًا. وكان رأسمال الشركة عندما توجهت إلى آسيا يفوق رأسمال الشركة الإنجليزية بنحو عشرة أضعاف، كما أن سفنها كانت أكبر حجمًا وأكثر عددًا. بوكسر، ك. د.(1993)؛ إمبراطورية هولندا البحرية 1600–1800، ترجمة شوقي جلال، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1؛ ص 56. و امين 1987 :54 –55 . و سلوت، ب. ج.(1993) ؛ عرب الخليج 1602–1784، ترجمة عايدة خوري، المجمع الثقافي في أبو ظبي، ط3، ص 77.

(الخطابي2004: 203).

سعى الهولنديون لنقل القهوة في البداية إلى الموانئ الآسيوية، وذلك من أجل تأمين الحصول على أكبر قدر من سبائك الذهب والفضة من بلدان آسيا بغية خفض شحنات المعادن النفيسة من أوروبا (بوكسر 1993: 278) ؛ لذلك تأخر وصول القهوة إلى هولندا حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وعندما قدم الإنجليز إلى اليمن ومن بعدهم الهولنديون في مطلع القرن السابع عشر الميلادي، كان هدفهم الأساسي هو بيع السلع الهندية في الموانئ اليمنية والعودة بالأموال إلى الهند، ولكن ما رست سفنهم في الموانئ اليمنية حتى وجدوا القهوة صارت سلعة استراتيجية مشهورة لدى العرب والأتراك والهنود والفرس، وصارت تحقق لهم الحصول على أرباح طائلة نتيجة لقيامهم بالمتاجرة بها.(الخطابي 2004 : 204).

وقد رصد أحد السجلات الهولندية حركة السفن عام 1638/ 1639م وذكرت بأن إحدى السفن الهولندية التي كانت في طريقها إلى ميناء بندر عباس الواقع على الخليج العربي قادمة من بتاقيًا المقر الرئيس للهولنديين في جزر الهند الشرقية، توقفت في ميناء المخا، حيث أفرغت جزءًا من حمولتها من السكر هناك، وجاءت بالجزء المتبقي منه إلى بندر عباس، كما حملت القهوة من المخا. (أمين1987: 59).

وإذا ما انتقلنا إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي كانت كميات البن تشتريها شركة الهند الشرقية الهولندية تتراوح بين 120,000 و 200,000 باوند– رطل هولندي – سنويًا. ولم يبدأ بيع البن في امستردام إلا في عام 1662م، حيث كان ذلك لأول مرة. ولم يُجلب إلى هولندا مباشرة من المخا إلا بعد مضى عامين من ذلك التاريخ، وقد قُدّرت تلك الكمية بـ (21,481) باوند، أي رطل هولندي من بن المخا، وفي العام التالي لم يتم بيع كمية منه في امستردام، لأسباب غير معروفة، ولكن تم خلال الفترة الممتدة بين(1663–1664 م) والفترة (1666– 1667 م). (183 :1958 Glamann). وقد أعقب ذلك فترة توقف عن إرسال القهوة إلى هولندا، حتى عام1685 م، حيث تم نقل ما مقداره (1,792) باوند، وقد ارتفعت هذه الكمية في عام1687 م إلى(2,586) باوند.

ولعبت شركة الهند الشرقية الهولندية دورًا هامًا في تجارة القهوة في الثمانينيات من القرن السابع عشر الميلادي، حيث رفعت طلباتها لهذه السلعة من 50,000 لبيرة إلى 400,000 لبيرة، كما أنها فتحت مقرًا دائمًا لها في المخا لشراء القهوة وتصديرها منذ عام 1679 م. (أمين1987: 39).

وعمومًا، بدأت القهوة تظهر بشكل مستمر ودائم في طلبات رحلات العودة إلى هولندا منذ عام 1686 م، حيث رفعت الشركة طلباتها من سلعة القهوة خلال ثمانينيات القرن السابع عشر الميلادي من 50,000 لبيرة -رطل – إلى 400,000 لبيرة. (Glamann 1958: 183). وفي العقد الأخير من القرن السابع عشر الميلادي ازداد عدد مستهلكي القهوة في أوروبا؛ فقد ذكر مدراء شركة الهند الشرقية الهولندية أنه في عام 1689م أخذ استهلاك القهوة في أوروبا في تزايد مستمر، وأن مبيعاتها تزداد يومًا بعد يوم، ولهذا السبب طلبوا من الشركة في بتاقيا إرسال مابين (75.000) و (80,000) باوند من القهوة إلى هولندا، وشددوا على أن البن المرسل يجب أن يكون طريًا وجيدًا. ونظرًا لوصول كمية رديئة من القهوة إلى هولندا خلال العام التالي، تم تخفيض كمية البن المطلوبة إلى ما بين 40.000 و50.000 باوند..(الخطابي 2004: 206).

وفي عام 1700 م زادت حاجة غرب أوروبا إلى القهوة، فازدهرت تجارته مع اليمن خلال فترة قصيرة من جديد، سرعان ما عادت كميات القهوة المطلوبة إلى الارتفاع ثانيًة، بحيث وصلت إلى حمولة سفينتين كبيرتين من القهوة في السنة، وتم تصدير ما يقارب من مليون كيلوغرام من القهوة اليمنية إلى هولندا خلال ذلك العام. (سلوت 1993: 31).

لقد أدى ازدياد استهلاك مشروب القهوة في أوروبا عامة، وهولندا خاصة في بداية القرن الثامن عشر، إلى حدوث

تنامٍ في استيراد البن من اليمن، فقد " زادت الشركة الهولندية كميات القهوة المستوردة إلى كمية تتراوح ما بين (200,000) إلى (250,000) باوند في عام 1703 م، وظلت هذه الزيادة مستمرة حتى وصلت إلى (500.000) باوند في عام 1707م، ووصلت في عام1711 م إلى ما بين (600,000) و (700,000) باوند. (Glamann 1958: 186). ويوضح الجدول التالي (4) حجم مشتريات شركة الهند الشرقية الهولندية من القهوة خلال الفترة 1713–1724 م ومعدل الأسعار لكل باوند. (Glamann 1958: 201).

الجدول (4) حجم مشتريات شركة الهند الشرقية الهولندية من القهوة خلال الفترة 1713 –1723 ومعدل الأسعار لكل باوند

السنـــــــــة	حجم البن في 1000 باوند	معدل الأسعار بالأستويفر*
1713	1.118	11.6
1714	1.101	10.8
1715	568	11.3
1716	711	11.1
1717	1.471	13.6
1718	1.585	17
1719	1.627	15.3
1720	1.772	14.9
1721	1.699	14.4
1722	1.685	15.8
1723	864	17.7

* **الأستويفر:** عملة هولندية، ويساوي الجلدر أو الفلورين الهولندي الواحد عشرين ستويفر. وشاع استخدام (الاستويفر) في عملية بيع وشراء القهوة (بوكسر1993:401) .

ومما يلاحظ أيضًا أن الهولنديين كانوا يدفعون أسعارًا للقهوة تختلف عن تلك التي كان يدفعها الإنجليز خلال الفترة ذاتها، وربما يعود السبب في ذلك إلى الفرق في الأوزان الهولندية والإنجليزية، حيث كان الرطل الهولندي يساوي (0.494) من الكيلوجرام أي أنه يساوي عمليًا (1.09) رطل إنجليزي (بوكسر 1994).

والجدول التالي (5) يوضح اختلاف الأسعار التي كان يشتري بها كلٌ من الإنجليز والهولنديين القهوة من المخا خلال الفترة من 1713 –1723 م.

الجدول (5) الأسعار التي كان يشتري بها الإنجليز والهولنديين القهوة من المخا خلال الفترة من 1713–1723م (Glamann 1958: 201)

السنـــــــــة	شركة الهند الشرقية الهولندية	شركة الهند الشرقية الإنجليزية
1713	129	128
1714	120	مفقود
1715	126	129
1716	124	123

السنـــــــة	شركة الهند الشرقية الهولندية	شركة الهند الشرقية الإنجليزية
1717	152	مفقود
1718	189	175
1719	170	171
1720	165	145
1721	161	151
1722	176	167
1723	198	195

ونتيجة لتزايد الطلب على القهوة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ارتفعت أسعاره ارتفاعًا متزايدًا، فيما كانت أسعار القهوة ثابتة نوعًا ما خلال الفترة 1708–1718 م، حيث كان يتراوح سعره ما بين 11 و11.5 ستويفر لكل باوند، وارتفع هذا السعر إلى 13.6 ستويفر لكل باوند في عام1717 م.

وتشير الأرقام إلى أنّ تجارة شركة الهند الشرقية الهولندية من القهوة وصلت إلى ذروتها في عام1720 م، حيث بلغ إجمالي المشتريات (1.771.742) باوند (رطل) بملغ قُدر بـ (1.317.055) فلورين، وقد شحنت تلك الكمية من القهوة على متن السفينتين روتردام (Rotterdam) ولوتنبرج (Lugtenberg) ووصلت السفينتان " بأكبر شحنة من القهوة حصل عليها الهولنديون من المخا حتى ذلك الحين، حيث سببت هذه الشحنة الانزعاج لمدراء الشركة في هولندا، بسبب ارتفاع ثمنها، فقرروا فصل وكيل الشركة في المخا، وإيقاف راتبه واستدعائه إلى بتافيا مقبوضًا عليه بتهمة خداعه للشركة وأهدار أموالها، خاصة بعد أن تبين لمدرائها في هولندا أن الشركات الأوروبية الأخرى، خاصة الشركة الإنجليزية قد تمكنت من شراء كميات كبيرة من القهوة بأسعار أقل وجودة أكبر (Glamann 1958: 201).

ج: الفرنسيون:

دخل الفرنسيون ميدان المنافسة على القهوة في العقد الأول من القرن الثامن عشر الميلادي في وقت متأخر نسبيًا عن الإنجليز والهولنديين؛ فقد وصلوا إلى اليمن بعد مرور حوالي قرنٍ من الزمن تقريبًا على وصول الأوربيين. وقد وصلت أول رحلة فرنسية إلى المخا في 3 يناير من عام1709 م على متن السفينتين الفرنسيتين كيريز (Curieuse) وديلجنت (Diligent)التابعتين لشركة سانت مالو الفرنسية، وتحت قيادة البحّار الفرنسي دي ميرفيل(De-Merveille) وشامبلوريه.(الخطابي 2004: 212).

ومما لا شك فيه أن الأرباح التي كان يجنيها الإنجليز والهولنديون من جراء متاجرتهم بالقهوة اليمنية قد شجعت الفرنسيين على تسيير رحلاتها البحرية إلى اليمن، وذكر دي لاروك بأن الهدف الرئيسي لهذه البعثة هو شراء القهوة من اليمن مباشرة، وأن الفرنسيين كانوا يشترون معظم البن من الأتراك في شرقي المتوسط وأحيانًا من الإنجليز والهولنديين. (الخطابي 2004: 212).

ولم يكتف دي ميرفيل بوصول هذه السفن إلى المخا، بل نجح في عقد معاهدة تجارية مع حاكم المدينة نيابة عن الإمام المهدي محمد بن الحسن، مُنح بموجبها الفرنسيون حق المتاجرة في المخا طول النهار والعودة إلى سفنهم ليلًا. وبشراء القهوة اليمنية متمتعين بالامتيازات التي حصلوا عليها بموجب تلك المعاهدة، وقدَّر دي لاروك قيمة ما اشتراه دي شامبلوريه الذي أُرسل إلى مدينة بيت الفقيه، حيث السوق الرئيسية لبيع القهوة من الحصول على كميات كبيرة منها، قدرها'' بقيمة تزيد على مائتي أُلف قرش.

وقد تجلت تلك الامتيازات والتسهيلات التي منحها الإمام للفرنسيين من أجل شحن القهوة من اليمن، حتى أنه شخصيًا عرض على وفد فرنسي أثناء تواجده في المواهب (عاصمة حكمه)، تقديم خمسمائة بالة من أجود أصناف القهوة هديةً منه لملك فرنسا لويس الرابع عشر، إلا أن الوفد اعتذر عن قبولها؛ لأن عملية شحن السفينتين كانت قد قطعت شوطًا متقدمًا، ولم يعد هناك متسعٌ لمثل هذه الكمية الكبيرة، وقد علّق دي لاروك على ذلك بقوله:"ولكن الحقيقة هي أنهم لم يعتقدوا أنه ينبغي عليهم من تلقاء أنفسهم من دون إذن من البلاط، تسلم مثل تلك الهدية" (دي لاروك 1999).

لم تستمر العلاقات الجيدة بين الشركة الفرنسية وحكومة اليمن لمدة طويلة، فقد بدأت بالتصدع منذ مطلع الثلاثينات من القرن الثامن عشر الميلادي، فقد كان حاكم المخا يقوم بشراء بضائع من السفن الهندية التابعة للشركة دون أن يدفع الأموال المستحقة على تلك البضائع، وعوضًا عن ذلك كان يعد بخصم ثمن تلك البضائع من قيمة الضرائب المستحقة للدولة في العام التالي، ومع استمرار تطبيق هذا النظام تورط الحاكم في ديون كبيرة للشركة قدرت بـ(82.000) دولار. (الخطابي 2004: 216).

ومن أجل استعادة تلك الأموال، أرسلت الشركة سفنًا تجارية يصحبها أسطولٌ عسكري للمطالبة برد الديون. وبعد وصوله إلى المخا عام 1838 م أجبر الفرنسيون الحاكم على دفع الديون، كما وقّع الحاكم معاهدة مع الفرنسيين تم بموجبها تخفيض الرسوم الجمركية المفروضة على الفرنسيين من3٪ إلى 2.5٪. (الخطابي2004 : 217).

د. القوى الأوروبية الأخرى:

يُعدّ النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي أهم فترات تجارة القهوة في اليمن، فقد بلغ التنافس الدولي حول تجارته الذروة، وشهدت هذه الفترة أيضًا دخول العديد من القوى الأوروبية ميدان تجارته بسبب تزايد عدد مستهلكيه في أوروبا.

والجدول الآتي (6) يوضّح بعض تلك الدول الأوروبية، وكميات القهوة التي حصلت عليها خلال الفترة من 1725–1735 م من المخا، مقدرة بوحدة الرطل. (الخطابي2004: 215).

جدول (6) كميات القهوة المصدرة لبعض الدول الأوروبية من ميناء المخا خلال الفترة 1725–1735

السنة	سويسرا / جنيف	إيطاليا / سافوا بيرنت	إسبانيا
1725	–	17754	470
1726	–	–	–
1727	–	39.163	–
1728	198.497	–	–
1729	31.800	–	–
1730	76.915	–	–
1731	51.560	–	–
1732	96.415	–	–
1733	50.590	–	–
1734	–	–	–
1735	128.310	–	–

ولم تذكر المصادر بالضبط كيف كانت تصل هذه الكميات إلى تلك البلدان، وهل كانت سفنهم تصل إلى الموانئ اليمنية؟ أم أنّ تلك الكميات من القهوة كانت تصل إلى تلك البلدان عن طريق وسيطٍ آخر، مثل شركات الهند الشرقية الأوروبية المختلفة، أو عن طريق مصر والدولة العثمانية، باعتبارهما من أهم مراكز توزيع القهوة إلى كافة أنحاء أوروبا، ولكن من الراجح أن تكون قد وصلت إلى تلك البلدان عبر المصادر المذكورة مجتمعة، خاصة وأنّ الأرباح التي كانت تجنيها الشركات والتجّار العاملون في تجارة البن كبيرةً ومشجعة على نقله والمتاجرة به. (الخطابي2004: 216).

وهناك دول أخرى دخلت المنافسة مع الفرنسيين والإنجليز والهولنديين على التجارة في البحار الشرقية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، فقد أسست النمسا شركة الأوستند" في عام1717 م، وقامت بنشاط تجاري واسع في المخا خلال الفترة من 1719 – 1727م، كما أدى الدنماركيون دورًا محدودًا في تجارة القهوة، حيث قاموا بمعاملات تجارية متقطعة ومحدودة مع المخا خلال القرن السابع عشر الميلادي. (ماكرو1987 : 42).

ووصل التنافس بين الدول الأوروبية على تجارة القهوة اليمنية في المخا إلى ذروته خلال الأعوام ما بين 1720 م و1740م. وكان سعر القهوة في تلك الفترة يتراوح في بيت الفقيه ما بين 126–130 دولارًا أسبانيًا، كما أدى هذا التنافس إلى إحداث ارتفاع كبير في أسعاره في اليمن، الأمر الذي دفع الشركات الأوربية لمحاولة إيجاد مصادر جديدة للحصول عليه بأسعار أقل؛ لذلك لجأوا لمحاولة زراعته خارج اليمن، وهو ما نجحت شركة الهند الشرقية الهولندية في القيام به. (الخطابي2004: 217).

وقد أدى نجاح زراعة أشجار القهوة في جزيرة جاوا وغيرها من المناطق في شرق وغرب الهند، ثم فيما بعد إلى منطقة جنوب أمريكا، إلى إنهاء احتكار اليمن لهذه السلعة، وبذلك مغادرة الشركات الأوروبية لمقراتها في اليمن، ابتداءً من النصف الثاني في القرن الثامن عشر الميلادي. (الخطابي2004: 221).

وهكذا تضاءلت أهمية تجارة القهوة اليمانية خاصة بالنسبة إلى التجارة الأوروبية – الأسيوية، ولعل السبب الرئيسي هو أن اليمن لم تعد تحتكر زراعة البن – كما تقدم –، حيث نجح الهولنديون في زراعة شجرة البن في جاوا، وبرهنت هذه الجزيرة على صلاحيتها لمثل هذه الزراعة. وفي عام 1720م أنتجت 50 طنًا من القهوة وخلال اثنتي عشرة سنة التالية ارتفع الإنتاج إلى 6000 طن، وكان هذا الإنتاج من الكثرة بحيث أن الشركة وجدت صعوبة في إيجاد الأسواق الملائمة له في أوروبا. (أمين1987: 40-41).

وقد ذكر نيبور " في عام 1763 أن الفرنسيين لم يعودوا يرسلون سفنًا إلى الموانئ اليمنية منذ سبع سنوات على وصوله إلى اليمن؛ وذلك نتيجة لحرب السنوات السبعة بين فرنسا وبريطانيا في الفترة من1756–1763 م " وبالمثل الهولنديون؛ فقد ذكر نيبور بأن آخر عهد سفنهم بالموانئ اليمنية قبل عامين من قدومه، عندما جاءت إلى المخا سفينتان من مستعمرتهم بتافيا، ويبدو أنّ تجارتهم مع الموانئ اليمنية لم تعد مربحة؛ لهذا توقفت سفنهم عن المجيء إليها، ومع أن الهولنديين أوقفوا تجارة البن المباشرة مع المخا، إلا أنه لم يتوقف وصول كميات كبيرة منه إلى هولندا عبر مصر ودون وساطة شركة الهند الشرقية. (الخطابي2004: 221).

وكذلك حال الشركة الإنجليزية، فقد ذكر نيبور في عام 1763 م أنّ شركة الهند الشرقية كانت ترسل سفينة واحدة كل عامين من أجل شراء القهوة، وفي عام 1771 م بدأ تدفق هذا الكنز من موانئ البحر الأحمر إلى الهند ينضب، وعند حلول الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي كان إنتاج البن ما يزال جيدًا، إلا أن أسعاره والطلب علية أصبح منخفضًا، وهذا يعني أنّ العصر الذهبي لتجارة البن اليمني قد ولّى .(الخطابي2004: 217).

4. العملات والأوزان المتداولة في البيع والشراء:

أ– العملات:

استقطبت منطقة الخليج واليمن بشكل خاص خلال القرن السابع عشر الميلادي والقرن الذي تلاه تجارًا من جنسيات مختلفة: برتغاليين وإنجليز وهولنديين وهنود، ومارس النشاط التجاري في المنطقة أهلها وأهالي المناطق المجاورة من عرب وفرس وأتراك وغيرهم، ولا شك في أنّ هؤلاء كانوا جميعًا يدفعون أثمان السلع والبضائع التي يشترونها، وهو أمر جعل المنطقة تعج بأنواع النقود المختلفة.

وعرفت المنطقة – وفقًا لذلك – التداول بأنواع النقود سواء كانت أوروبية أو عثمانية، وكانت مسكوكة من المعادن كالذهب والفضة، وغالبًا ما كانت النقود تقابل بالعملات الوطنية.

يقول فراير في هذا المجال: " كانت هناك أنواع مختلفة من النقود الذهبية يتعامل بها التجار في الغالب، وقسم منها له قيمة عالية، والقسم الآخر قيمته منخفضة، وكذا هو الشأن بالنسبة للعملة الفضية" (Furber 1976: 125).

وقبل التعرّف على العملات المختلفة التي كانت متداولة خلال فترة الدراسة، لا بد من القول بأن هناك صعوبة بالغة في معرفة قيمتها على وجه الدقة، ومع ذلك سيحاول الباحث إعطاء فكرة عن تلك العملات والعلاقات فيما بينها.

ولما كان البرتغاليون أول من وصل من الأوروبيين إلى الشرق، فقد عرفت المنطقة عملاتهم التي كان الريال Real من أهمها؛ ذلك لأنه يمثل وحدة النقد الأساسية في البرتغال خلال القرن السادس عشر الميلادي. (Whiteway 1920: 67).

ووُجدت في اليمن العديد من الريالات أو القروش التي تنتمي إلى مناطق متعددة من أوروبا، منها على سبيل المثال القرش أو الريال الإسباني والريال الفرنسي، ولا يُعرف ما إذا كان يتم التعامل بها في تجارة البن مباشرة، ودون أن تخضع للصرف أولًا أم لا.

وبالنسبة لتجارة القهوة؛ فقد اعتُمد الريال أو القرش النمساوي، الذي كان يدعى في أوروبا بالريال القيصري، أو ريال ماريا تريزا، وكان يُعرف في اليمن بالريال الحجر أو الفرانصي، وقد أصبحت هذه العملة هي الوحدة القياسية للعملة في اليمن. (الخطابي2004: 106).

وقد ذكر نيبور عام 1767 م أن سعر البهار الواحد من القهوة 55 ريالا، أي ريال فرانصي. ولا يُعرف ما إذا كانت أجزاء الريال الفرانصي مقبولة في التعامل التجاري للقهوة أم لا، ولم يكن التعامل في تجارة القهوة بالريال الحجر ، أو الماريا تريزا مقصورا على اليمن، ولكنه كان يستعمل أيضا في تجارة هذه السلعة في معظم المناطق والموانئ العربية، ووجدت في اليمن العديد من الريالات أو القروش التي تنتمي إلى مناطق متعددة من أوروبا، منها على سبيل المثال القرش أو الريال الإسباني والريال الفرنسي، ولا يُعرف ما إذا كان يتم التعامل بها في تجارة القهوة مباشرة، ودون أن تخضع للصرف أم لا. (الخطابي2004: 106).

ومن العملات البرتغالية أيضًا الكروزادو Cruzado، وهي عملة نقدية ذهبية اختفت من التداول في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، إلا أنها استمرت وحدة حساب (Steensgaard 1974: 417). كما شاع استخدام (الاستويفر) في عملية بيع وشراء القهوة: وهي عملة هولندية، حيث يساوي الجلدر أو الفلورين الهولندي الواحد عشرين ستويفر. (بوكسر1993 :401) .

وشاع أيضًا البياستر Piastre، وهو عملة إسبانية ضربت في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديّين،

وكانت على درجة كبيرة من الثبات، وهي عملة فضية تحوي على 25.57 غرام من الفضة الخالصة. (Steensgaard 1974: 417). وعند مقارنة العملة البرتغالية بالعملة الإسبانية يلاحظ أن الكروزادو الواحد يعادل 1.25 بياستر. أما في آسيا فإن نسبة التحويل يجب أن تؤخذ تبعًا لكل حالة منفردة. (Steensgaard 1974: 418).

وعرف الشرق، بما فيه منطقة الخليج العربي نقودًا أوروبية أخرى يأتي الكلدر (Guilder) الهولندي أو الفلورين (Florin) الذي يزن 10–11 غرامًا من النحاس الخالص. أما الكراون (Crown) الإنجليزي فقد ضرب ليساوي 27.527 غرام من الفضة الخالصة بعد عام 1604 م، بينما كان يساوي 5.57غرام من الفضة الخالصة بعد عام 1601م. وإذا ما أردنا أن نقيم هذه العملات الإنجليزية والهولندية بالعملة الإسبانية فإن البياستر الواحد يعادل 2.5 كلدر هولندي و4.5 شلن (Shelling) إنجليزي. (Steensgaard 1974: 417).

أما العملات المحلية – كما يقول بوكسر – فقد كان "يجري تحويلها طبقًا للأسعار السائدة للعملة والتي كانت تتباين تباينًا كبيرًا". (بوكسر 1993:401).

ومن العملات المحلية العثمانية "الآقجة"، التي أطلق عليها الأوروبيون اسم آسبر Asper، وكان وزنها يعادل 0.25 غرام فضة. (سركيس 1955:465).

ومن هذه العملات أيضًا البارة التي تعادل 0.5 غرام فضة، وقد حلت البارة محل الآقجة. ووجدت أيضًا المايدين Maidins التي تعادل البارة. وكان كل 3 آسبر تعادل اثنين مايدين. (Steensgaard 1974: 429)، ومن العملات النقدية التي شاع استعمالها كثيرًا في العراق ومنطقة الخليج العربي عامة اللارين Larin، وقد قدّرها تافرنييه في رحلته بتسع سوات (Sou) فرنسية، (والأخيرة مضروبة من النحاس أو النيكل)، وقد وصفتها المصادر الهولندية بأنها قطعة من العملة الفضية، تساوي ستة أعشار الكلدر الهولندي، والسوية تساوي 20/1 من الفرنك. (تافرنيه 1944: 99، سلوت 1993: 197).

ب- الأوزان والمكاييل:

استخدمت خلال فترة الدراسة وحدات متنوعة للوزن، وكان تنوعها الشديد من ناحية والخلط في الإشارة إليها من قبل الباحثين من ناحية أخرى سببًا للإرباك الذي يلاحظ على كثير من الدراسات التي تناولتها.

ومن الموازين التي استخدمت لوزن القهوة: البهار، البالة والحمل، الفراسلة، والعدلة، القنطار، والرطل والبشل، وقد اختلفت قيم هذه الأوزان من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ففي المخا مثلا، عند زيارة نيبور إلى اليمن 1763 م، كان البهار يعادل 15 فراسلة، بينما كان البهار في بيت الفقيه يعادل ٤٠ فراسلة. ولم يذكر نيبور سرّ الاختلاف في مقدار البهار في كلٍّ من المخا وبيت الفقيه، هذا وكان جان دي لاروك قد ذكر حجم البهار في مدينة بيت الفقيه عام 1710 م، في معرض حديثه عن ارتفاع الأسعار هناك، فقد ذكر أنه قبل وصولهم إلى اليمن بخمسة وعشرين عامًا كان بمقدور المرء "الحصول على بهار بيت الفقيه الذي يزن سبعمائة وخمسين رطلا بعشرة أو اثني عشر قرشًا، والذي يتعين أن تدفع مقابله اليوم مائة وخمسين قرشًا وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك. وقد ظلت الفراسلة تستخدم في عمليات الوزن إلى عهد قريب حيث كانت تساوي 24 رطلًا. (الخطابي 2004: 107–108).

ومن الأوزان التي شاعت (الرطل)، وهو وحدة الوزن التي استخدمها الإنجليز لوزن جميع السلع ما عدا الأدوية والمعادن الثمينة والأحجار الكريمة (Steensgaard 1974). وهناك الرطل الهولندي، وهو رطل أمستردام، ووزنه 0.494 من الكيلوغرام، وكان يساوي عمليًا 1.09 رطلًا إنجليزيًا. (بوكسر 1993:40).

ومما يوزن به القهوة أيضا البالة، وتزن البالة الكمية نفسها التي يزنها البهار، وقد بدأ استعمال كلمة بالة منذ 1616 م، وقد ذكر براور أن سعر البالة من حبوب البن في تلك السنة كان بنفس نظام الرزمة – أي البهار – حتى عام 1623 م، أي أنّ الكلمتين – عند الحديث عن البن – كان لهما المعنى نفسه في المخا. ومن وحدات وزن القهوة في اليمن أيضًا "الحمل"، وكان يزن نفس وزن البهار أيضا، فكانا أكبر وحدات الوزن، فيقال حمل بعير من البن، ويطلق عليه محليًا "وِقِر بعير"، أي الكمية التي يمكن للبعير حملها على ظهره، ويقدّر الحمل بـ 300 رطل تقريبًا. (الخطابي 2004: 108، مهنّا 2001: 78-77).

كما شاع من الأوزان (المن)، وكانت هناك أنواع متعددة منه، فالمنّ الفارسي (أو الشاهي) يساوي 2 منّ تبريزي، ويساوي في الوقت نفسه 11.5 رطلًا هولنديًا، أي 5.66 و5.681 كغم على التوالي(Steensgaard, 1974)، كما أنّ المنّ البصري يختلف عن المنّ السوراتي؛ فالأول يساوي حوالي ثلاثة أرباع المنّ السوراتي الصغير، هذا مع العلم بأن المن يزن 24 أوقية. (Foster, 1906-1927:130)

وجدير بالذكر أن هناك أنواعًا مختلفة من المنّ، فمنّ الحبوب يختلف عن منّ الحرير، وهذه الأنواع كانت في تغير مستمر بمرور الزمن. (سركيس 1955 :465). وهناك أيضًا ذكر للقنطار (الكنتال Quintal) الذي يساوي 112 باوندًا إنجليزيًا و100 كغم فرنسي. (Steensgaard 1974:415). ومما يوزن به القهوة أيضا: (البشل) ويساوي 122 ليبرة. (امين1987: 41). ومع هذا كله فإننا نجد ذكرًا لأوزان مختلفة، ووحدات وزنية محلية، وقد تم التركيز على الشائع منها.

جدول رقم (7) يوضح بعض الأوزان والمكاييل المستخدمة وما يقابلها بالكيلو غرام416 :Steensgaard 1974)).

وحدة الوزن	بالكيلوغرام
الرطل الإنجليزي	0.452
الرطل الكبير الإنجليزي	0.680
الرطل الهولندي	0.494
المنّ التبريزي	2.838
المنّ الشاهي الفارسي	5.675
البالة Bale الفارسي	102.150
اللود Load الفارسي	204.300

الخاتمة والنتائج

أثّر ازدهار تجارة القهوة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديّين تأثيرًا إيجابيًا كبيرًا، ليس على الوضع الاقتصادي في اليمن فحسب، بل على معظم المناطق والبلدان والشركات التي عملت في تجارته؛ فقد حققت تجارته أرباحا عالية للعديد من المناطق الواقعة على حوض المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر التوسط.، حيث أعادت تجارة القهوة النشاط التجاري إلى سواحلها وموانئها، واستطاعت تحقيق شهرة عالمية في وقتٍ قياسي، كما استمرت في الحفاظ على موقعها المتميز بين السلع العالمية لمدة طويلة من الزمن، بالرغم من وجود العديد من الصعوبات التي اعترضت طريقها ؛ وذلك بسبب جودتها العالية ونكهتها المتميزة.

وعلى العموم فقد امتازت تجارة البُن بأمور هامة، منها:

أولًا: أن اليمن، بوصفه القطر العربي، كان المصدر الوحيد في العالم أجمع لإنتاج هذه السلعة وتصديرها، وبقيت اليمن تتمتع بهذه المنزلة حتى العقد الثالث من القرن الثامن عشر الميلادي، كما أنّ القهوة اليمانية كانت تمثل، خلال معظم الفترة التي هي قيد الدراسة، السلعة الوحيدة في الوطن العربي كله القابلة للتصدير إلى الأسواق العالمية بكميات كبيرة، والتي تستدر الأموال والفضة والذهب، إضافة إلى أنّ الفضة الأميركية وجدت طريقها إلى الوطن العربي عبر أوروبا بفضل القهوة اليمانية دون أية سلعة أخرى.

ثانيًا: على الرغم من نجاح الهولنديين في زراعة شجرة البُن في جاوا، وبرهنت هذه الجزيرة على صلاحيتها لمثل هذه الزراعة، إلا أنها لم تحقق قهوةُ جاوا في الأسواق الأوروبية ذلك النجاح الذي كان يتوقعه الهولنديون؛ وذلك لأنها لم تكن تضاهي قهوة المخا من حيث الجودة والمذاق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد تدفقت القهوة على أوروبا من مصادر أخرى خاصة من جزر الهند الغربية وبكميات كبيرة ولم يكن باستطاعة الهولنديين منافسة هذه الجزر في إنتاج القهوة.

ثالثًا: ازدياد حدة التنافس بين الشركات التجارية والقوى المختلفة التي تعمل في تجارة القهوة أدت إلى ارتفاع أسعارها بشكل كبير ؛ فقد أظهرت سجلات الشركات التجارية الأوروبية أمثلة كثيرة على التغير في أسعار القهوة خلال العشرينات من القرن الثامن عشر الميلادي. كما دفع الشركات الأوربية لمحاولة إيجاد مصادر جديدة للحصول عليه بأسعار أقل؛ لذلك لجأوا لمحاولة زراعته خارج اليمن، وهو ما نجحت به شركة الهند الشرقية الهولندية

رابعًا: على الرغم أن المنطقة استقطبت بشكل خاص خلال الفترة قيد الدراسة، ومارس النشاط التجاري في المنطقة أهلها وأهالي المناطق المجاورة من عرب وفرس وأتراك وغيرهم، ولا شك في أنّ هؤلاء كانوا جميعًا يدفعون أثمان السلع والبضائع التي يشترونها، وهو أمر جعل المنطقة تعج بأنواع النقود المختلفة. لكن لا بد من القول بأن هناك صعوبة بالغة في معرفة قيمتها على وجه الدقة.



Eurasian Trade of Coffee During the Seventeenth and Eighteenth Centuries

*Abd-ALRazzak Mahmoud ALmaani **

ABSTRACT

This article examines the volume of the Eurasian trade in coffee exported to Europe, especially Yemeni coffee and the commercial developments that occurred in this commodity during the seventeenth and eighteenth centuries. This research indicates that the entry of such a strategic commodity as coffee into Eurasian trade, and the competition between European commercial companies, brought about a profound change in the nature of economic relations between the two continents. This was accompanied by an important shift in European political positions and interests towards Asia. The article tries as much as possible to draw a picture, even if an approximation, of the commercial operations that were taking place in order to export it abroad. The research touched on the currencies and weights of different nationalities – Portuguese, English, Dutch, and Indians – in circulation due to the commercial activity during the period under discussion. Some of its people and the people of the surrounding areas, including Arabs, Persians, Turks, and others, also carried out commercial activity in the area, and there is no doubt that all of them paid for the goods and merchandise they bought, which made the area teeming with different types of money.

Keywords: *trade, Europe, Asia, coffee, money*.

*Email, Almaani_1@yahoo.com, (Abd-ALRazzak Mahmoud ALmaani) Orcid number: https://orcid.org/0000-0003-3050-531x, History & GeographyDepartmet, Faculty of Arts, ALhussain bin Talal University, Jordan.

Received on 14/2/2022 and accepted for publication on 10/8/2022.

المصادر والمراجع العربية

أمين، عبد الأمير محمد (1987)؛ *دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوروبي في آسيا 1600–1800*، عمان: منشورات الجامعة الأردنية.

بانيكار، ك.م (1962)؛ *آسيا والسيطرة الغربية*، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة: دار المعارف.

براور، ك.خ . وكبلانيان. آ. (1989)؛ *اليمن في أوائل القرن السابع عشر مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي لجنوب الجزيرة العربية 1614–1630*، أمستردام: ده فلويته راروب، ط2.

بوكسر، ك. د. (1993)؛ *إمبراطورية هولندا البحرية 1600–1800*، ترجمة شوقي جلال، أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، ط.1.

بيرين، جاكلين (1963)؛ *اكتشاف جزيرة العرب – خمسة قرون من المغامرة والعلم*، ترجمة قدري قلعجي، بيروت: دار الكتاب العربي.

تافرنييه، جون باتيست (1944)؛ *العراق في القرن السابع عشر*، نقله إلى العربية وعلق حواشيه بشر فرنسيس ويعقوب سركيس، بغداد: مطبعة المعارف.

الخطابي، أروى (2004)؛ *تجارة البن اليمني من القرن (11–13هـ/ 19–17م)*. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية.

دي لاروك، جان (1999)؛ *رحلة إلى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الأحمر*، ترجمة صالح محمد علي، أبوظبي: منشورات المجمع الثقافي.

زكي، أحمد (1970)؛ "في سبيل موسوعة علمية: البن والقهوة شرابه". *مجلة العربي*، ع 144، نوفمبر، صص 44–51.

سلوت، ب. ج. (1993)؛ *عرب الخليج 1602–1784*، ترجمة عايدة خوري، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط3.

عبد الكريم، ناهد والغلاييني، يوسف (2013)؛ "أسطول البُن العماني وتجارته من 1832–1744". *مجلّة اتحاد الجامعات العربية للآداب*، مج 10، ع 1، صص 23–69.

القاسمي، نورة (1996)؛ الوجود الهندي في الخليج العربي 1820–1947، الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام.

لوريمر، ج. ج. (1967)؛ *دليل الخليج، القسم التاريخي والجغرافي*، ترجمة مكتب حاكم قطر، 14 مجلدًا، الدوحة: مكتب الديوان.

ماكرو، أريك (1987)؛ اليمن والغرب، ترجمة أ.د. حسين عبدالله العمري، دمشق: دار الفكر، ط٢.

مهنّا، هاني زامل عبد الإله (2001)؛ "تجارة البُن اليمني: دراسة في العلاقة بين الشؤون التجاريّة والسياسيّة في اليمن 1450م–1918م". *مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية*، مج11، ع1، صص 55–104.

المهيري، فاطمة سهيل (1991)؛ *النشاط التجاري العربي في الخليج في القرن الثامن عشر*. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.

نيبور، كارستن (1955)؛ *مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة 1765*، نقلها إلى العربية سعاد هادي العمري، بغداد: دار المعرفة.

REFERENCES

‘Abd al-Karīm, N. and al-Ghalāyinī, Y. (2013); “The Omani coffee fleet and its trade from 1744-1832”. *Journal of the Association of Arab Universities for Literature*, No. 1, Vol. 10, No.1, Pp. 23-69.

Amīn, A. (1987); *Studies in European commercial and political activity in Asia 1600-1800*, Amman: University of Jordan.

Boxer, K. (1993); *Holland Maritime Empire 1600-1800*, Shawqī Jalāl trans., Abū Ẓabī: Cultural Foundation.

Brouwer, C. G. and Kaplanian, A. (1989); Early seventeenth-century Yemen: Dutch documents relating to the economic history of Southern Arabia, 1614-1630, Amsterdam: D’Fluyte Rarob, 2nd ed.

Chaudhuri, K. N. (1978); *The Trading World of Asia and the English East India Company 1660-1760*, Cambridge: Cambridge University Press.

Chaudhuri, K. N. (1976); Kahwa. Trade with Europe. *The Encyclopedia of Islam New Edition*, IV: 453-455. Leiden: E.J. Brill.

De La Roque, J. (1999); *Journey to Arabia Felix Across the Eastern Ocean and the Straits of the Red Sea*. Ṣāliḥ Muḥammad ‘Ali trans., Abu Dhabi: al-Majma‘ al-Thaqāfī.

Foster, W. (1906-1927); *The English factories in India, 1618-1669: a Calendar of Documents in the India Office, British Museum and Public Record Office*, (13 vols), Oxford: Clarendon Press.

Furber, H. (1976); *Rival Empires of Trade in the Orient 1600-1800*, Oxford.

Glamann, K. (1958); *The Rise of Portuguese Power in India 1407-1550*, London.

Marine Records 1792; Great Britain, India Office, Vol. 891, (15 August 1792).

Panicar, K. (1962); *Asia and Western Domination*, ‘Abd al-‘Azīz Tawfīq Javid trans., Cairo: Dār al-Ma‘ārif.

Perrin, J. (1963); *The Discovery of the Arabian Peninsula*, Qādrī Kalajī trans. Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

Khan, Iftikhar (2000-2001); *Coffee Trade of the Red Sea First Half of 18th Century*, edited by Michel Tuchscherer, Institut français d’archéologie, Colloque sur le café avant l'ère des plantations coloniales, Montpellier, France, 8 October 1997, Pp: 219–225, Orientale, Cahier des annals Islamologiques.

al-Khaṭṭābī, A. (2004); *The Yemeni Coffee Trade, (C. 17-19)*. Unpublished Master’s Thesis, Ṣan‘ā’ University, Department of History.

Lorimer, C. (1967); *Gulf Guide, Historical and Geographical Section*, Qatar Ruler's Office trans., Vol. 14, Dohah: Diwān Office.

Macro, E. (1987); *Yemen and the West*, Husayn ‘Abd Allah al-‘Umarī trans., Damascus: Dār al-Fikr, 2nd ed.

al-Muhayrī, F. (1991); *Arab Commercial Activity in the Gulf in the Eighteenth Century*. Unpublished Master's Thesis, College of Arts, History Department, University of Jordan.

Muhannā, H. (2001); “The Yemeni Coffee Trade: A Study of the Relationship Between Commercial and Political Affairs in Yemen 1450 AD-1918 AD”. *Journal of King Abdul Aziz University: Arts and Humanities*, Vol. 11, No.1, Pp. 55-104.

Niebuhr, C. (1792); *Travels through Arabia and Other Countries in the East*, Rupert Heren trans., Edinburgh: R. Morison and Son.

Niebuhr, C. (1955); *Mushāhadāt Nībūhr fī Riḥlatihi min al-Baṣrah ila al-Ḥilah fī 1765*, Su‘ād Hādī al-‘Umarī trans., Baghdad: Dār al-Ma‘rifah.

al-Qāsimī, N. (1996); *The Indian Presence in the Arabian Gulf 1820-1947*, Sharjah: Department of Culture and Information.

Saldanha, J. A. (1986); *Selections From State Papers, Bombay, Regarding the East India Company’s Connections with the Persian Gulf, With a Summary of Events, 1600-1800 [65v] (130/540)*, (Archives Editions).

Slot, B. J. (1993); *The Arabs of the Gulf 1602-1784.* ‘Āyidah Khūrī, trans., Abu Dhabi: al-Majma‘ al-Thaqāfī. 3rd ed.

Steensgaard, N. (1974); *The Asian Trade Revolution of the Seventeenth Century: The East India Companies: And the Decline of the Caravan Trade*, Chicago: University of Chicago Press.

Tavernier, J. B. (1944); *Iraq in the seventeenth century*, Translated into Arabic and commented with footnotes by Bishr Francīs and Jacob Sarkīs, Baghdad: al-Ma‘ārif Press.

Zaki, A. (1970); "For a Scientific Encyclopedia: Beans and Coffee. Its Drink". *al-Arabi Magazine,* No. 144, November, Pp. 44-51.